توم بيسح *

آبا أحيمئير

آبا أحيمئير، هو للوهلة الأولى، شخصية هامشية: صحافي وعضو في الحركة التصحيحية، وكان في موقف الأقلية ضمن صفوف حركته التي لم تشكل التيار المركزي في الحركة الصهيونية. وكانت فترة نشاطه السياسي المهمّ قصيرة – وامتدت، في الأساس، من عام ١٩٢٨ حتى عام ١٩٣٣. وقد عرّف نفسه بوضوح، بأنّه فاشيّ، ممّا سهّل على بن غوريون والحركة العمالية الصهيونية التنديد به والابتعاد ظاهريًا عن مواقفه. ولكن، سأحاول أن أثبت أنّ دراسة أفكار وآراء أحيمئير القومية – العسكرية، توضح أنها أصبحت مركزيّة. ومن الناحية العملية، يصعب علينا أن نفهم، فيما بعد، ما هو التجديد في هذه المواقف والآراء.

كان اسمه الأصلي آبا شاؤول جيسينوفيتش، وقد وُلد في عام ١٨٩٦ في قرية دولهي في روسيا القيصرية (بالقرب من مينسك، وهي اليوم روسيا البيضاء) –وهي جزء من المنطقة التي أُرغم اليهود على السكن فيها في ذلك الوقت. تلقّى تربية صهيونية، وهاجر إلى البلاد عام ١٩١٢. مكث في روسيا في الفترة ما بين ١٩١٤ –١٩١٩، وشاهد الدمار الذي ألحقته الثورة والحرب الأهلية. في البداية كان سلاميًّا وتماثل مع دعوة البلاشفة إلى الخروج من الحرب العالمية الأولى، ولكن في أعقاب تلك الأحداث أصبح معارضًا شديدًا لهم، وفي نهاية الأمر اعتبر الماركسية حركة معادية للساميّة.[١] ولكنه حتى بعد ابتعاده عن أهداف الاشتراكية، ظلّ يعتبر لينين ثوريًّا ونموذجًا للتقليد من ناحية طرق العمل (إلى جانب الثوريين الروس السابقين الذين عملوا ضد القيصر).[٢] قُتل أخوه مئير أثناء الخدمة في الجيش الأحمر، وسُمي جيسينوفيتش نفسه على اسم أخيه الميت (وهكذا أصبح اسم العائلة أحيمئير).[٣] وفي عام ١٩٢٤ أنهى دراسة الدكتوراه

* أكاديمي وباحث متخصص في موضوع التطهير الإثني وسوسيولوجيا الثقافة.

وكان أحيمئير قد تذمّر حتى نهاية سنوات العشرين جرّاء عدم استعداد البريطانيين لتطبيق إعلان بلفور بالكامل. وبسبب عدم حرصهم على أمن وسلامة اليهود خلال أحداث عام ١٩٢٩.. وعارض بشكل خاصّ الكتاب الأبيض الصادر عام ١٩٣٠ (الذي تراجع عنه البريطانيون في ما بعد) والذي تضمّن قيودًا على الهجرة اليهودية إلى البلاد وعلى شراء الأراضي، وتضمّن كذلك خطّة لإقامة مجلس تشريعي ديمقراطي مشترك يشكّل فيه اليهود أقلية. صحيح أنّ جابوتينسكي أيضًا انتقد البريطانيين، ولكنّ أحيمئير كان من بين الصهيونيين الأوائل الذين استنتجوا أنه يجب خوض الصراع ضدّهم.

في فيينا حول المفكر الألماني شبينغلر، وبعد ذلك عاد إلى البلاد.

عاش أحيمئير في البداية عاملاً في كيبوتس جيبع وفي نهلال، وكان عضوًا في حركة «هبوعيل هتسعير»،[٤] وهي منظمة يسارية صهيونية، ولكنه انضمّ في عام ١٩٢٨ إلى الحركة التصحيحية التي حاولت منافسة الحركة العمالية على زعامة الحركة الصهيونية، وأصبح أحد الناشطين البارزين فيها. وفي عام ١٩٣١ شارك في التأسيس الرسمي لمنظمة «بريت هبريونيم»، وهي الجماعة الصهيونية الأولى التي ركزت جهودها في الصراع ضدّ سلطات الانتداب البريطاني، وكانت قد بدأت قبل ذلك في تنظيم المظاهرات ضدّ سلطات الانتداب.

وفي عام ١٩٣٣ اعتُقل أحيمئير للاشتباه به في قتل الزعيم الصهيوني الاشتراكي، حاييم أرلوزوروف. وكان أحيمئير قد نشر قبل ذلك مقالات شديدة اللهجة ضدّ أرلوزوروف، وذلك على خلفية تورّط الأخير في اتفاق مع ألمانيا النازية على نقل اليهود. الشبهات أساسها اعتبار المقالات تحريضًا أدّى إلى عملية القتل. وبالرغم من تبرئته من التهمة، فقد جرى تقديمه للمحاكمة على خلفية تورّطه في منظمة «بريت هبريونيم» ضدّ الحكم البريطاني. أمضى أحيمئير أكثر من سنتين في السجن. وبعد إطلاق سراحه عام ١٩٣٥، خفض مستوى انخراطه في العمل السياسي واشتغل في مجال البحث التاريخي وفي كتابة المقالات (أحيانًا بأسماء مستعارة)، وفي تقديم المحاضرات.[٥] وبعد سنتين سُجن مدة ثلاثة أشهر في أعقاب عملية نفذتها منظمة «إيتسل»، لم يكن له أيّ دور فيها. وفي عام ١٩٥١، دعاه صديقه في الحركة التصحيحية، المؤرخ بن تسيون نتنياهو، إلى المساهمة في كتابة الموسوعة العبرية.[٦] توفي أحيمئير في عام ١٩٦٢ بشكل مفاجئ في تل أبيب، إثر نوبة قلبية، وهو في سنّ الخامسة والستين. ابنه البكر يعقوب أحيمئير أصبح صحافيًا في سلطة الإذاعة، وكان ابنه الأصغر، يوسي، مديرًا لمكتب رئيس الحكومة إسحق شامير، وعضو كنيست في حزب الليكود في العامين ١٩٩٥ و-١٩٩٦.

ولكي نفهم التجديد في مواقف أحيمئير يجدر بنا التطرّق بإيجاز إلى زئيف جابوتينسكي، الذي قاد في أواسط سنوات العشرين التيار التصحيحي في الحركة الصهيونية. إلى جانب رفضه اشتراكية الحركة العمالية الصهيونية، اعتبر جابوتينسكي نفسه كولونياليًّا بشكل واضح، وانطلاقًا من هذا الموقف برّر استمرار الوجود البريطاني في البلاد من أجل تمكين استمرار بناء المشروع الصهيوني. وفي المدى القصير الأمد برّر جابوتينسكي استخدام القوة لإرغام العرب على قبول الصهيونية، ولكنه في المدى الطويل دعا إلى الديمقراطية التي يتمتع فيها المواطنون العرب بحقوق متساوية في الدولة اليهودية، وأعرب عن تأييده للنظام البرلماني البريطاني. وقد أيد حاييم وايزمان، رئيس المنظمة الصهيونية (العالمية)، أكثر من جابوتينسكي الخطّ المؤيد لبريطانيا، وعارض التصريحات عن قوة عسكرية مستقلة.[٧]

وبما أن الصهيونيين شكلوا أقلية صغيرة في البلاد حتى موجة الهجرة في أواسط الثلاثينيات، فقد كان من السهل أن ندرك سبب اعتبار غالبية أعضاء الييشوف البريطانيين حلفاء وليسوا أعداء. وكان جابوتينسكي، مثل قادة آخرين، مستعدًّا لإقامة دولة يهودية تكون بمثابة دومينيون - دولة خاضعة للكومونولث، ضمن إطار الامبراطورية البريطانية، على غرار دولتي المستوطنين في أستراليا وكندا؛ واعتقد أن في مقدوره تجنيد الرأي العامّ البريطاني لتأييد هذه الفكرة.

وكان أحيمئير قد تذمّر حتى نهاية سنوات العشرين جرّاء عدم استعداد البريطانيين لتطبيق إعلان بلفور بالكامل. وبسبب عدم حرصهم على أمن وسلامة اليهود خلال أحداث عام ١٩٢٩. وعارض بشكل خاصّ الكتاب الأبيض الصادر عام ١٩٣٠ (الذي تراجع عنه البريطانيون في ما بعد) والذي تضمّن قيودًا على الهجرة اليهودية إلى البلاد وعلى شراء الأراضي،

وتضمّن كذلك خطّة لإقامة مجلس تشريعي ديمقراطي مشترك يشكّل فيه اليهود أقلّية. صحيح أنّ جابوتينسكي أيضًا انتقد البريطانيين، ولكنّ أحيمئير كان من بين الصهيونيين الأوائل الذين استنتجوا أنه يجب خوض الصراع ضدّهم.

عيّن جابوتينسكي أحيمئير في عام ١٩٢٨ عضوًا في هيئة تحرير الصحيفة التصحيحية «بريد اليوم» (دوآر هيوم)، وعلى ما يبدو فقد أثّرت التقارير المهيِّجة التي كتبها أحيمئير ورفاقه في صيف عام ١٩٢٩ على الأحداث العنيفة في تلك السنة. لقد صرّحت العناوين الرئيسية في الصحيفة في تموز من ذلك العام حول «مؤامرة ضدّ حائط المبكى» وخطط الحكومة والوقف الإسلامي لبناء حائط يغلق طريق وصول المصلّين اليهود ويحوّل عمليًّا حائط المبكى إلى مسجد. وفي المقابل، نُشرت في صحيفتي «هآرتس» و«دافار» تقارير أكثر انضباطًا. وكانت المظاهرة التي جرت في شهر آب عند حائط المبكى، التي أخذ أحيمئير إليها أعضاء حركة الشبيبة التصحيحية «بيتار» من بين العوامل المباشرة التي أدّت إلى اندلاع الاضطرابات. واتّهم التقرير البريطاني الصادر عام ١٩٣٠ حول الأحداث صحيفة «بريد اليوم» بالتهييج وإثارة الاضطرابات؛[٨] وفي أعقاب ذلك اضطرّ التصحيحيّون إلى التخلّي عن الصحيفة.[٩] وعلى هذه الخلفية كان أحيمئير من بين مؤسّسي «بريت هبريونيم» (بمعنى: المقاتلون الشجعان، على اسم أغنية من تأليف يعقوب كوهين كان قد كتبها عام ١٩٠٣، تناولت المتعصّبين اليهود الذين قاتلوا الرومانيّين) مع الشاعر أوري تسفي غرينبرغ والكاتب يهوشوع ييفين.[١٠] وبوحي وإلهام الثوريين الاشتراكيين من جهة، والفاشية الإيطالية من جهة ثانية، دعا أحيمئير إلى «الصهيونية الثورية» – طليعة تسيطر على البلاد بشكل فوريّ بقوّة السلاح، بدلاً من الانتظار إلى حين خلق أغلبية يهودية بشكل تدريجي.[١١] وكان الهدف من ذلك «تحقيق الهدف الأسمى المتمثل في إقامة مملكة إسرائيل في أرض إسرائيل، ليس ضمن حدود يضعها هربرت صموئيل، وإنّما ضمن الحدود التي رسمها الملك داوود ويوآف».[١٢]

وفي مقالة بعنوان «ليس كأبناء الزنوج» يوضح أحيمئير:

لا قيمة لكمية المستوطنين، في مقابل جودتهم. المثال الأعلى للصهيونية الحقيقية ليس قطعان البشر، وليس تحوّل الشعب القابع في صهيون إلى سكّان أصليين، على غرار المصريين والصينيين والهنود، تكفي قلّة من البريطانيين لإخضاعهم وحكمهم.[١٣]

ويكتب في مكان آخر:

في حركات التحرّر لا قيمة للأغلبية، لا قيمة للقطيع. هناك

آبا أحيمئير

قيمة للأقلية، فقط للناشطين، للشباب فقط. كل جيش مقاتل مكوّن من الشباب.[١٤]

دعا أحيمئير إلى تقدير ميكِلس، عالم الاجتماع المناصر للفاشيّة، الذي يعتقد أنّ سيطرة النخبة على المنظمات السياسية أمرٌ لا بدّ منه.[١٥]

ودعا أحيمئير إلى اتّباع عبادة شبه دينية لشخصيات نموذجية قومية، يستطيع الشباب بإلهام منها تنفيذ عمليات شجاعة تؤدّي إلى تغيير عميق في الوعي السياسي العامّ.[١٦] وهو يرى أنّ «أبناء الشبيبة ابتعدوا عن الصهيونية لأنها سهلة ومملّة. الشباب يتوجّهون إلى أماكن تتطلّب منهم التضحيات – الذهاب إلى السجون وأعواد المشانق».[١٧]

«لدينا قوّة لشدّ الشبيبة اليهودية إلى حركتنا، ولكن يجب علينا أن نمنحهم الأمور المطلوبة لكلّ حركة شبيبة: الرومانسية العظيمة الرائعة، والوعي بأنهم يخوضون حربًا دون تنازلات من أجل مستقبل الأمّة».[١٨] وفي مكان آخر يكتب عن ضرورة رعاية وتغذية الرغبة في العظمة في صفوف الشباب، بروح وهدف نيتشه.[١٩] وهاجم أحيمئير التربية الليبرالية التي تقود حسب رأيه إلى الانتحار، ودعا إلى استبدال هذه التربية بأخرى

وبالرّوح نفسها أثنى أحيمئير على إعلان دكتاتورية في يوغسلافيا عام ١٩٢٩، كانت قد اعتمدت على حراب الجيش. كان التسلّط وتقدير العسكرتاريّة من العوامل المميّزة للحركة التصحيحية كلّها، ولكن أحيمئير، على النقيض من جابوتينسكي، لم يتحدّث عن كتائب عبرية تحت رعاية بريطانيا، بل تحدّث عن قوّة مستقلة. إلى جانب تمجيد التضحية بالذات وتقديس الأبطال التاريخيين الذين قاموا بمثل تلك التضحية، عبر أحيمئير عدّة مرّات عن تأييده للاغتيالات السياسية، كما عبّر عن تقديسه للثورة العسكرية.

استبدادية.[٢٠]

أثنى أحيمئير، بعد عدّة سنوات، على أنصار فرانكو وعلى استعداد أحدهم لترك خصومه الجمهوريين يقتلون ابنه، دون الموافقة على طلبهم بالاستسلام. وقد بدا لأحيمئير أنّ هذا الاستعداد للتضحية نموذج مهمّ يستحقّ المحاكاة.[٢١] وفي السياق المحلّي عرض أحيمئير الحشمونائيم وباركوخبا وترومبلدور كنماذج رائعة للتضحية بالذات.[٢٢] يندمج إبراز مثل هذه العمليات بالمقاربة الرومانسية العميقة لدى أحيمئير، التي رفضت المناقشات المنطقية المجرّدة والبرامج المفصّلة، في مقابل الإبداع التعبيري والعمليات الثورية.[٢٣]

وقد رفض أحيمئير، بتأثير شبينغلر (الذي كتب عنه رسالة الدكتوراة)، الديمقراطية والليبرالية باعتبارهما قوى آفلة، وهاجم «المطالبة بحقوق زائدة للفرد».[٢٤] وفي مقابل ذلك أعرب عن تقديره للأنظمة الاستبدادية التي انتشرت في الفترة نفسها في إيطاليا وبولندا وتركيا ودول أخرى:

«في مركز أوروبا قامت حركة قومية كبيرة، أنقذت أوروبا من العقبة البرلمانية، المتجسّدة بالثرثارين، والأكثر أهمية من ذلك هو: الدكتاتورية القومية أنقذت شعوب مركز أوروبا من «التشيكا» (الشرطة السرية السوفياتية) ومن الحرب الأهلية واليوتوبيا الماركسية. تنتشر القومية الصافية اليوم في صفوف المجتمع البشري كلّه.[٢٥]

وبالرّوح نفسها أثنى أحيمئير على إعلان دكتاتورية في يوغسلافيا عام ١٩٢٩، كانت قد اعتمدت على حراب الجيش.[٢٦] كان التسلّط وتقدير العسكرتاريّة من العوامل المميّزة للحركة التصحيحية كلّها، ولكن أحيمئير، على النقيض من جابوتينسكي، لم يتحدّث عن كتائب عبرية تحت رعاية بريطانيا، بل تحدّث عن قوّة مستقلة. إلى جانب تمجيد التضحية بالذات وتقديس الأبطال التاريخيين الذين قاموا بمثل تلك التضحية، عبّر أحيمئير عدّة مرّات عن تأييده للاغتيالات السياسية،[٢٧] كما عبّر عن تقديسه للثورة العسكرية، وفي هذا السياق وعد بأنّ «مسيحنا لن يجيء على هيئة فقير يركب حمارًا. سيأتي المسيح – مثل كلّ مسيح – راكبًا على ظهر دبّابة».[٢٨]

بدأ أحيمئير يسمّي البريطانيين «المحتلّ الأجنبي»، وذلك بخلاف غالبيّة الصهيونيين أبناء الفترة نفسها (حتى سنوات الأربعين) ومن ضمنهم جابوتينسكي؛ ويشبّه السكان اليهود في البلاد بالإيرلنديين الذين عاشوا تحت الحكم البريطاني، كما دعا إلى خوض نضال عنيف من أجل الاستقلال بروح نضال حركة «الشين فين» الإيرلندية.[٢٩] وقد ربط أحيمئير معنى اسم حركة المقاومة الإيرلندية («نحن أنفسنا») بالقول التلموديّ «إذا لم أعمل من أجل نفسي فمن سيعمل من أجلي!»، حيث كان يرفض اعتماد غالبية السكان اليهود على القوّة العسكرية البريطانية.[٣٠]

نظّمت منظمة «بريت هبريونيم» عددًا من المظاهرات الصهيونية الأولى ضدّ سلطات الانتداب، من خلال التوجّه بشكل خاصّ إلى الشباب. وقد شملت فعالياتها المركزية الاحتجاج ضد نائب وزير المستعمرات البريطانية (في العالم ١٩٣٠)؛ النفخ في البوق عند حائط المبكى، الأمر الذي كان مخالفًا للحظر البريطاني؛ محاولات عرقلة إجراء إحصاء سكّاني إذ خشيت المنظمة أن يحدّد مكانة اليهود كأقلية في البلاد (في العام ١٩٣١)؛ إحداث شغب خلال حفل إقامة كاتدرائية السلام في الجامعة العبرية، عوضًا عن إقامة كاتدرائية عسكرية تبعًا لمطلب المنظمة، التي ارتأت تربية وتعليم الجيل الجديد الشاب بروح عسكرية (في العام ١٩٣٢)؛ مظاهرات ضدّ طرد سيّاح يهود استقرّوا في البلاد بدون تصريح؛ إدخال عشرات المهاجرين من أوروبا، عن طريق لبنان، أيضًا بدون تصريح رسمي؛ إنزال أعلام ألمانيا النازية عن القنصليات الألمانية في يافا والقدس، في

خلال المحاكمة التي واجه فيها أحيمئير تهمة قتل أرلوزوروف، تجنّد الحاخام أبراهام يتسحاق هكوهين كوك (كوك الأب)، الذي كان في ذلك الوقت الحاخام الأكبر، للدفاع عنه وعن رفيقه أبراهام ستافسكي (الذي أدين في البداية بالقتل، ثمّ جرت تبرئته في الاستئناف). تجنّد الحاخام كوك لمصلحة المتهمين أبعده عن الحركة العمّالية السائدة، ويعتبر هذا التجنّد بداية تحالفه مع أوساط اليمين.

أعقاب صعود هتلر إلى سدّة الحكم؛ ومظاهرة ضدّ عرض أفلام ألمانية.[٣١]

وجّه أحيمئير النقد الشديد لأعضاء منظمة «بريت شالوم» ولقيادة الحركة الصهيونية - حاييم وايزمان على وجه الخصوص، متهمًا إيّاهم بتبنّي توجّه تصالُحيّ مبالَغ فيه وبقبول التنازل عن الأغلبية اليهودية من أجل محاولة التوصّل إلى اتفاق مع الفلسطينيين. وفي مقابل هؤلاء الذين اعتبرهم «خوَنة» مرارًا وتكرارًا، اعتبر أحيمئير نفسه الوريث الحقيقي للصهيونية الأصلية.[٣٢]

على الرغم من تصريحاته، عارض أحيمئير عمليًا المطالب التي وُجّهت إليه وإلى رفاقه بأن يستخدموا العنف.[٣٣] من هنا اعتبر إلحانان هلبرين، عضو منظمة «بريت هبريونيم»، أنّ أحيمئير مجرّد منظّر غير قادر على قيادة عمليات سرّية حقيقية.[٣٤] غير أنّ التصوّرات القومية العسكرية التي حملها أحيمئير أثّرت بشكل تدريجي على أبناء الشبيبة، وخاصّة أعضاء منظمة «بيتار» التصحيحية، حيث كان قد ألقى أمامهم محاضرات في البلاد وفي بولندا.[٣٥] وهكذا، كان من بين المشاركين في مظاهرات حركة «بريت هبريونيم» ضدّ البريطانيين دافيد رزئيل، الذي أصبح لاحقًا أحد مؤسّسي منظمة «إيتسِل»؛ يئير شطِرن، من مؤسّسي منظّمة «ليحي»؛ ثمّ إنّ مناحيم بيغن، الذي كان في ذلك الوقت أحد قادة «بيتار» في بولندا، أعرب عن تقديره لاستعداد أحيمئير للتضحية بالنفس ودخول السجن، واصفًا أيّاه بأنّه «أصبح اسطورة وهو ما زال حيًّا يُرزق»؛[٣٦] كما ترك أحيمئير أثرًا كبيرًا في إسحق شامير الشابّ، الذي كان هو الآخر عضو منظمة «بيتار» في بولندا.[٣٧] لاحقًا، طبّق كلّ من بيغن وشمير دعوة أحيمئير استخدام العنف في النضال ضدّ البريطانيين، وكلاهما اعتبر حركة «شين فين» في إيرلندا مصدر إلهام لهما. ومع ذلك، ابتعد أحيمئير نفسه عن معظم النشاطات السياسية بعد إطلاق سراحه من السجن في أواسط الثلاثينيات. ورغم أنه كان قد دعا إلى إقامة منظمة سرّية معادية للبريطانيين،[٣٨] إلّا أنّه لم يحمل السلاح، ولم يكن شريكًا في تأسيس منظمتي «إيتسل» و«ليحي» السرّيتين.[٣٩] لكنّ تأييده لهاتين المنظمتين كان واضحًا: في عام ١٩٣٧ ألقى أحيمئير خطابًا مدح فيه منظمة «إيتسل» في أعقاب عملية ألقيت فيها قنابل في سوق خضروات عربي أدّت إلى مقتل عدد من المارّة.[٤٠]

خلال المحاكمة التي واجه فيها أحيمئير تهمة قتل أرلوزوروف، تجنّد الحاخام أبراهام يتسحاق هكوهين كوك (كوك الأب)، الذي كان في ذلك الوقت الحاخام الأكبر، للدفاع عنه وعن رفيقه أبراهام ستافسكي (الذي أدين في البداية بالقتل، ثمّ جرت تبرئته في الاستئناف). تجنّد الحاخام كوك لمصلحة المتهمين أبعده عن الحركة العمّالية السائدة، ويعتبر هذا التجنّد بداية تحالفه مع أوساط اليمين. وفيما بعد، في أعقاب عام ١٩٦٧ أصبح الحاخام كوك، الحاخام تسفي يهودا كوك، النصير والراعي لحركة «غوش إيمونيم».

تأثر أحيمئير بدوره بالحاخام كوك، الذي دمج ما بين الدين والقومية. ورغم أنه جاء من خلفية علمانية، ورغم انتمائه لعائلة حاربت إلى جانب البلاشفة خلال الحرب الأهلية في روسيا، فقد ندّد أحيمئير برفض الدين لدى ماركس. ورغم أنه لم يصبح ملتزمًا بالواجبات الدينية، فقد فسّر الرموز الدينية من جديد وفق روح الصهيونية العسكرتارية التي نادى بها. من ذلك أنّه ادّعى - على سبيل المثال - أنّ البوق هو في الأساس آلة قومية - عسكرية؛ وأن قصة خروج الإسرائيليين من مصر، الخاصة بعيد الفصح، جرى تأليفها في فترة الحكم الروماني، وأنّها تهدف إلى إثارة التمرّد ضدّ هذا الحكم؛ وأنّ حائط المبكى هو في المقام الأول رمز قويّ. كذلك، يرى أحيمئير أنّ الدين حيويّ لضرورة التكتّل الاجتماعي والحيلولة دون الفوضى، والتي تشكّل حرّية التعبير اللّامحدودة إحدى تجلّياتها. لكنّه يحدّد بأنّه يجب تفسير الدين بأساليب قومية - عسكرتارية وليس بأساليب مهجريّة - متحجّرة كما يفعل اليهود المتزمّتون (الحريديم).[٤١]

«لقد ربحنا من ظروف المهجر إذ قام الآخرون بعملنا. لم تتح لنا ظروف المهجر إراقة الدماء. طمح قسم من الأمّة

أيّد أحيمئير بشكل واضح وصريح إقامة دكتاتورية فردية في اللجنة التنفيذية الصهيونية، بدلاً من الديمقراطية الداخلية غير الفعّالة، التي ولّى زمنها. وكان جابوتينسكي قد تحفّظ من دعوة صريحة وجّهها إليه أحيمئير يطالبه بأن يصبح دوتشي. وبالرغم من ذلك، استمرّ الزعيم التصحيحي في الإعراب بشكل علنيّ عن تقديره لأحيمئير، ولم يتنصّل منه.

بحياة عامّة عاديّة وبالخروج من المهجر وبإراقة الدماء عند الحاجة... [ولكن] غياب العسكرية والروح القتالية هما من علامات انحطاط اليهودية وتدمير أصولها».[٤٢]

وكانت هنالك شخصيّة أخرى لها ارتباط بأحيمئير: أورئيل هيلبرين، أو باسمه المستعار يوناتان رتوش. كان رتوش مقرّبًا من حركة «بريت هبريونيم» في بداية الثلاثينيات، وفيما بعد عبّر عن وجهات نظر مشابهة فيما يتعلق بإمكانية تحقيق السيطرة على البلاد بدون تحقيق الأغلبية العددية، قائلاً بإمكان ذلك بفضل التفوّق المتأصّل لدى المستوطنين اليهود.[٤٣] كذلك فقد مجّد رتوش إيطاليا الفاشية، مثله في ذلك كمثل أحيمئير. وفي عام ١٩٣٩ كان رتوش واحدًا من مؤسّسي حركة الكنعانيين ذات التأثير الواسع، والتي سعت إلى خلق أمّة عبرية منفصلة عن اليهودية.

ركّز أحيمئير في معظم كتاباته على تنمية القومية في خضمّ النضال ضدّ البريطانيين والحركة العمالية الصهيونية. وقلّما عُني بالتطرّق إلى الفلسطينيين، علمًا أنّهم أغلبية سكّان البلاد؛ وقد يكون ذلك ناجمًا عن استخفاف بهم.[٤٤] وحين تطرّق إليهم أعربت كتاباته عن مفاهيم وآراء استشراقية فظّة، حيث وصف العرب بعد مجزرة الخليل بأنهم «أناس متوحّشون قادمون من الصحراء، يدمّرون ويعيثون فسادًا في هذه البلاد».[٤٥] وكتب في وقت لاحق عن مكوثه في السجن البريطاني في عام ١٩٣٣ مع القائد الفلسطيني عبد القادر المظفر: «هذه الإقامة في السجن، مع المسلمين العرب والشرقيين النصارى، عزّزت لديّ النظرة السلبية تجاه الشرق»، مضيفًا انّه لا يرى أيّ أهمية أو معنى في اللقاء مع العرب.[٤٦] وفي مقال نُشر في ١٥ أيار ١٩٤٨، وصف أحيمئير القوات المقاتلة الفلسطينية بأنها قروية في الأساس، ووصف حركة الفلسطينيين بأنها «أنانية، غوغائية، وتستند إلى النضال البدائي وإلى ادّعاءات روحانية بدائية».[٤٧] استشراقيّة أحيمئير هذه تستند على نحو حاسم إلى مفهوم العرق، ويبدو أنه ليس من قبيل الصدفة أنّ أنظمة الحكم التي اعتبرها نموذجًا له أوروبيّة في معظمها، فقد كتب إلى البريطانيين:

سعيكم إلى تحويل المائة وستّين ألف أوروبي في هذه البلاد إلى سكّان أصليين لم تنجح ولن تنجح. لا يمكن زرع روح العبودية في شعب هرتسل وأينشطاين».[٤٨]

كما ذكرنا، كانت النماذج السياسية التي استلهمها أحيمئير أنظمة أوروبية استبدادية. نشر في نهاية العشرينيات مقالاً في صحيفة «بريد اليوم» تحت عنوان «من يوميات فاشيّ»، أعرب فيه عن تقديره لهتلر – قبل صعوده إلى الحكم (ولكنه تنصّل من المقال فيما بعد بسبب سياسة هتلر تجاه اليهود).[٤٩] وفي مقالة نشرت بعد مرور خمسة أيام على وصول جابوتينسكي إلى البلاد، في تشرين الأول ١٩٢٨، كتب أحيمئير:

يجب ألّا ييأس الدوتشي الذي تجمّع تحت رايته عدد قليل من الأنصار. هذا هو نمط الحياة. الأقلية تحكم الأكثرية. تحكم فعليًّا بقوّة السلاح أو بقوّة الإيمان. يجب على الدوتشي أن ينظّم حفنة الرجال القادرين على الانصياع له، وأن يعدّ جيل «الحرس القومي»، وألّا يصرف من وقته من أجل جذب القطيع الكثير... الحركة التصحيحية تعود أكثر فأكثر إلى السياسة الأوروبية، وإلى تمجيد الفرد الخلّاق، في الوقت الذي يوجد فيه لدى الحركة شخصية مثل الدوتشي. يجب علينا – نحن الذين ننصاع لأمره – أن نتوجّه إليه بالكلمات التالية: «سمعًا وطاعة».[٥٠]

أيّد أحيمئير بشكل واضح وصريح إقامة دكتاتورية فردية في اللجنة التنفيذية الصهيونية، بدلاً من الديمقراطية الداخلية غير الفعّالة، التي ولّى زمنها. وكان جابوتينسكي قد تحفّظ من دعوة صريحة وجّهها إليه أحيمئير يطالبه بأن يصبح دوتشي. وبالرغم من ذلك، استمرّ الزعيم التصحيحي في الإعراب بشكل علنيّ عن تقديره لأحيمئير، ولم يتنصّل منه.[٥١]

استغلّ قادة الحركة العمالية، وعلى وجه الخصوص دافيد بن غوريون، توصيف أحيمئير كمناصر للفاشية واتّهامه بقتل أرلوزوروف (وهي تهمة التصقت به رغم تبرئته منها في المحكمة) لكي يُظهروا أنفسهم كديمقراطيين ومعتدلين، ومن أجل الفوز بالسيطرة على المؤسسات الصهيونية طيلة عقود عديدة. ذلك، رغم أنّ الحركة العمّالية نفسها قد انخرطت في

الصراع العنيف ضدّ الفلسطينيين، ورغم ضلوعها في الاتفاق مع ألمانيا النازية حول نقل اليهود – وهي مسألة كانت خلافيّة، ورغم انخراطها في أعمال العنف ضدّ البريطانيين بعد الحرب العالمية الثانية. وقد استمرّ بن غوريون يشجب أحيمئير باعتباره فاشيًّا متطرفًا ويحافظ على سمات ديمقراطية شكلية، لكنّ الرّوح العسكرية التي تميّز بها أحيمئير أصبحت هي السائدة، ليس فقط في صفوف الحركة التصحيحية وإنّما أيضًا في أوساط الجيل الشاب في الحركة العمالية؛ كما أن بن غوريون قد تبنّى عمليًّا هذه الروح العسكرية.[٥٢] وهكذا رعى وطوّر زعيم المستوطنين اليهود الجيش باعتباره الوسيلة الأفضل لحلّ القضايا السياسية، وكان حريصًا على تحقيق وجود أغلبية يهودية بوسائل عنفيّة خلال عام ١٩٤٨،[٥٣] قدّست الدولة الجديدة الجيش، ولا تزال التربية فيها ترتكز على تشجيع أبناء الشبيبة على الخدمة في الجيش والتضحية بالنفس، وذلك بإلهام ووحي من التفسير القومي العسكرتاري لكلّ من الدين والتاريخ اليهوديّين – بالضبط كما كان يأمل العضو في «بريت هبريونيم».

لقد جرى تخليد ذكرى أحيمئير في شوارع وساحات ١٣ مدينة، وكذلك في طابع بريد رسميّ؛ وفي مدينة رمات غان أقيم متحف يحمل اسمه («متحف آبا») يحتفظ بأرشيف يتضمّن كتاباته. وفي عام ٢٠١٢ نظمت فعاليات في الذكرى الخمسين لوفاة أحيمئير، وكان من بين المهنّئين المشاركين في هذه الفعاليات رئيس الحكومة – بنيامين نتنياهو، ورئيس الكنيست – رؤوبين ريفلين.[٥٤]

ترجمه عن العبريّة: محمد كيّال

الهوامش

١ شاي حوريف، **ناشط وشاقّ الطريق - رؤية ومكانة آبا أحيمئير الأيديولوجية ضمن إطار القيادة الأيديولوجية في الحركة التصحيحية**، (حيفا: دوخيفات، ٢٠٠١)، ص ١٨-١٩ (باللغة العبرية).

2 Colin Shindler, The Rise of the Israeli Right. (New York: Cambridge University Press, 2015), p. 81.

٣ كما جرى اختصار أسمائه الشخصية من آبا شاؤول بن أيزيك إلى آبا.

4 Shindler, The Rise of…., p.65

٥ يقدّر ابنه يوسي أنّ والده استعمل نحو ثلاثين اسمًا مستعارًا. للمزيد، أنظروا: يوسي أحيمئير، «آبا أحيمئير والحرب العربية - العربية». **كيفونيم حدشيم** ٢٧ (٢٠١٢)، ص. ١٠١-١٠٩، (باللغة العبرية).

٦ كان أحيمئير، حسب أقوال بنيامين نتنياهو، بنتسيون، «الإنسان الذي قدّره بروفسور نتنياهو أكثر من أيّ إنسان آخر». أحيمئير، «آبا أحيمئير...، ص ١٣.

٧ أوري بن أليعيزر، **عبر جهاز التسديد: ولادة العسكرتارية الإسرائيلية**، ١٩٦٥-١٩٣٦، (تل أبيب: دفير، ١٩٩٥)، ص٣٧. (باللغة العبرية).

٨ عوزي إليداع، ٢٠٠٦. «ما بين إثارة المشاعر والسياسة: صحيفة دوأر هيوم وأحداث ١٩٢٩»، كيشر ٣٤ (٢٠٠٦)، ص. ١١٤-١٥٠. «جدول زمني في حياته» لدى: يوسي أحيمئير يوسي (محرّر)، **آبا أحيمئير والصهيونية الثورية - مجموعة مقالات في الذكرى الخمسين لوفاته**، (تل أبيب: معهد جابوتينسكي و«بيت آبا»، ٢٠١٢)، ص١٤٣ (باللغة العبرية)؛ Colin Shindler. The Triumph of Military Zionism – Nationalism and the Origins of the Military Right. (London: I.B. Tauris, ٢٠٠٦), p. ١٥٣.

٩ حوريف، **ناشط وشاقّ الطريق...** ، ص٥١، ٨٩. في عام ١٩٣٢ أسّس أحيمئير ورفاقه أسبوعية «حَزيت هَعام» (جبهة الشعب) التي استمرّت في الصدور حتى ١٩٣٤.

١٠ الإرهابيون (هَبريونيم) الأصليون الذين أصرّوا على محاربة الرومانيّين ضدّ إرادة الحاخامين، مذكورون في التلمود في فصل جيطين –Shindler. The Triumph of Military Zionism…., p ١٥٩.

١١ يوسف هيلر، «أحادية الهدف أم أحادية الوسائل؟ الخلاف الفكري والسياسي بين زئيف جابوتينسكي وآبا آحيمئير»، تسيون (١٩٣٧)، (باللّغة العبرية) ؛ يوسف هيلر، **ليحي: الأيديولوجيا والسياسة**، (القدس: مركز زلمان شزار، ١٩٨٩)، ص٢٠ (باللّغة العبرية).

١٢ مقتبس في حوريف، **ناشط وشاقّ الطريق...** ، ص١٠٦. وبعبارة أخرى، كان أحيمئير شريكًا في المطلب التصحيحي «ضفّتان للأردن، خارج نطاق الحدود التي حدّدها الانتداب بعد عام ١٩٢٢، وأكّد على أن مملكة الملك داوود كانت قد تأسّست بفضل يوآب، وزير الجيش.

١٣ هيلر، «أحادية الهدف....، ص ٣٣٠

١٤ مقتبس في حوريف، **ناشط وشاقّ الطريق...** ، ص٤٤. وفي مكان آخر يرى أحيمئير أنّ الأقلية مركبة من المختصّين (حوريف، **ناشط وشاقّ الطريق...** ، ص٦١) (باللّغة العبرية).

١٥ Shindler. The Triumph of Military Zionism…., p ١٥٧.

١٦ Shindler, The Rise of…., p٩٣

١٧ جولدشطاين، «تصميم البطولة الأكمل»، لدى: يوسي أحيمئير يوسي (محرّر)، **آبا أحيمئير والصهيونية الثورية - مجموعة مقالات في الذكرى الخمسين لوفاته**، (تل أبيب: معهد جابوتينسكي و«بيت آبا»، ٢٠١٢)، ص٥٥.

١٨ حوريف، **ناشط وشاقّ الطريق...** ، ص٤٧.

١٩ Shindler, ٢٠٠٦, p. ١٥٤

٢٠ يهودا شوستر، **بناء نموذج نظري للأيديولوجيا الفاشية ما قبل السلطة وتطبيق النموذج في حالة تاريخية ملموسة - آبا أحيمئير ١٩٢٨-١٩٣٤**، رسالة ماجستير، قسم التاريخ العامّ، الجامعة العبرية، ص١٤٤. (باللّغة العبرية).

٢١ يونتان شابيرا، **للحكم اخترتنا: طريقة حركة حيروت - تفسير سوسيولوجي - سياسي**، (تل أبيب: عام عوبيد، ١٩٨٩)، ص٥٣.

٢٢ حوريف، **ناشط وشاقّ الطريق...** ، ص ١٠٦-١١٧. «في طريق خروجنا من الغيتو نسينا عبادة المقدسين، ولم نتعلم عبادة الأبطال». مقتبس لدى أمير جولدشطاين، «تصميم البطولة الأكمل»، لدى: يوسي أحيمئير يوسي (محرّر)، **آبا أحيمئير والصهيونية الثورية - مجموعة مقالات في الذكرى الخمسين لوفاته**، (تل أبيب: معهد جابوتينسكي و«بيت آبا»، ٢٠١٢)، ص ٥١-٥٢.

23 Eran Kaplan, The Jewish Radical Right – Revisionist Zionism and Its Ideological Legacy. (Madison, WI: University of Wisconsin Press, 2004), p. 84

٢٤ مقتبس لدى حوريف، **ناشط وشاقّ الطريق...** ، ص٦١. هنا يبرز مرّة أخرى الخلاف بينه وبين جابوتينسكي، الذي يوجد عنده الأساس الليبرالي والفردي.

٢٥ مقتبس لدى هيلر، «أحادية الهدف... ، ص٣٤٩.

26 Shindler. The Triumph of Military Zionism…., p. 172.

٢٧ هيلر، **ليحي: الأيديولوجيا والسياسة...**، ص٢٧.

٢٨ مقتبس لدى حوريف، **ناشط وشاقّ الطريق...** ، ص٦٠.

٢٩ الرومانسية التي نسجها أحيمئير حول انتفاضة عيد الفصح التي قامت بها حركة «الشين فين»، والتي انتهت بإعدامهم في عام ١٩١٦، كانت منافية لرأي جابوتينسكي الذي اعتبر تلك الانتفاضة خطوة مغلوطة وخطأ تكتيكيًّا. (جولدشطاين، ... ٢٠١٢، ص٥٥).

٣٠ Shindler, The Rise of…., p٨٣-٨٤؛ هيلر، «أحادية الهدف... ».

٣١ يورام أريدور، «حول شخصيته السياسية»، لدى: يوسي أحيمئير يوسي (محرّر)، **آبا أحيمئير والصهيونية الثورية - مجموعة مقالات في الذكرى الخمسين لوفاته**، (تل أبيب: معهد جابوتينسكي و«بيت آبا»، ٢٠١٢)، ص٣٠ (باللغة العبرية)؛ يعقوب طوبي، لدى: يوسي أحيمئير يوسي (محرّر)، آبا أحيمئير والصهيونية الثورية - مجموعة مقالات في الذكرى الخمسين لوفاته، (تل أبيب: معهد جابوتينسكي و«بيت آبا»، ٢٠١٢)، (باللّغة العبرية).

٣٢ Shindler, The Rise of…., p٩٣؛ أحيمئير، «آبا أحيمئير والحرب، ص ١٩٥.

٣٣ طوفي، ٢٠١٢، ص ٦١-٦٢. ومع ذلك يشهد أحيمئير في مكان آخر بأنّ الإرهابيين (هبريونيم) خرّبوا البيّارات الفلسطينية.

٣٤ مقتبس لدى حوريف، **ناشط وشاقّ الطريق...** ، ص٨٧ (باللّغة العبرية).

٣٥ Shindler, The Rise of…., p ,٨٧ ,١٢٢.

٣٦ مناحم بيغن، «آبا أحيمئير - أسطورة في حياته». الأمّة، ٦٦-٦٧ (١٩٨٢ [١٩٣٥])، ص٥٩. كما هو معروف، أصبح بيغين في وقت لاحق قائد منظمة «إيتسل».

٣٧ إسحق شمير، «أحيمئير - الأب الروحي للتنظيم السري العبري المقاتل»، في أرض إسرائيل، (تموز ١٩٨٧)، ص٣١.

٣٨ Shindler, The Rise of…., p .٩٦.

٣٩ ادّعى احيمئير في وقت لاحق أنه اعتزل النشاط السياسي، بعد إطلاق سراحه من السجن، نتيجة لضغط قيادة الحركة التصحيحية. (حوريف، **ناشط وشاقّ الطريق...** ، ص٨٨).

٤٠ حوريف، **ناشط وشاقّ الطريق...** ، ص١٠٤.

٤١ شلومو برله.. «الدين، اليهودية والقومية في فكر آبا أحيمئير». الأمّة ٥٣، (١٩٧٧)، ص. ٧٣-٦٣ (باللّغة الغبرية).

٤٢ مقتبس لدى برله.. «الدين، اليهودية...، ص٦٩.

43 Shindler. The Triumph of Military Zionism…., p. 197-198.

٤٤ أحيمئير، «آبا أحيمئير والحرب العربية...، ٢٠١٢

٤٥ مقتبس لدى أحيمئير، «آبا أحيمئير والحرب العربية ، ص ١٩٦.

٤٦ مقتبس لدى هيلل كوهين، **١٩٢٩: سنة الصفر في الصراع اليهودي - العربي**. (القدس: كيتر، ٢٠١٣)، ص٥٧. حول مكوثه في السجن مع العرب كتب أحيمئير أنه شعر «كإنسان في قفص حيوانات مفترسة» (أحيمئير، «آبا أحيمئير والحرب العربية... ص١٩٩).

٤٧ مقتبس أحيمئير، «آبا أحيمئير والحرب العربية، ص ١٩٤.

٤٨ مقتبس أحيمئير، «آبا أحيمئير والحرب العربية، ص ١٩٦.

٤٩ رغم معارضة أحيمئير للنازية في ألمانيا بعد عام ١٩٣٣، ظلّ فاشيًّا على رؤوس الأشهاد طيلة عقد آخر إضافيّ. وفي أواخر سنوات الثلاثين أعرب عن تأييده لفرانكو (شابيرا، **للحكم اخترتنا...**، ص ٥٣)، ولم يتبرّأ من موسوليني إلّا بعد الحرب العالمية الثانية (حوريف، **ناشط وشاقّ الطريق...** ، ص٦٢).

٥٠ هيلر، «أحادية الهدف....، ص ٣٢٣. تعبير «سمعًا وطاعة» وارد في التوراة في سفر الخروج، ٢٤، ٧، للتذكير بإخلاص بني إسرائيل للربّ.

٥١ هيلر، «أحادية الهدف....، ١٩٣٧

٥٢ يحيعام فايتس، **ما بين زئيف جابوتينسكي ومناحيم بيغين - مجموعة مقالات حول الحركة التصحيحية**. (القدس: ماجنيس، ٢٠١٢)، ص٧٦؛ بن أليعيزر، **عبر جهاز التسديد...**، ١٩٩٥

٥٣ بن أليعيزر، **عبر جهاز التسديد...** ، ١٩٩٥.

٥٤ يوسي أحيمئير، **آبا أحيمئير والصهيونية الثورية - مجموعة مقالات في الذكرى الخمسين لوفاته**، (تل أبيب: معهد جابوتينسكي و«بيت آبا»، ٢٠١٢)، (باللّغة العبرية).